(٩) قصته مع أمريكة

د. القرضاوى يحكى قصته مع أمريكة :

- سحبت أمريكة تأشيرة دخولى إليها بسبب تأييدى للمقاومة الفلسطينية.
- نعم أؤيد العمليات الاستشهادية فهى ليست انتحارية.
- الخارجية الأمريكية تطلب إجاباتى على أسئلة تتعلق بحماس والجهاد وحزب الله، لكنها لم تغير موقفها.
- أدين العنف العشوائى وأنكره، وأدعو إلى التسامح مع المخالفين.
- أسرار لقائى بالسفيرة الأمريكية فى الدوحة.
- لست متحمساً لدخولى أمريكة الآن، ولعل المنع خير.
- ساويت البضائع الأمريكية بالإسرائيلية فشراؤها حرام.
- على مسلمى أمريكة وفلسطين المحتلة مقاطعة الشركات المتحيزة للصهيونية ما أمكنهم ذلك.
- تربية الأمة على التحرر من العبودية لأذواق الآخرين جانب غير اقتصادى فى المقاطعة.
- نريد من أمريكة تأييد الديمقراطية حتى فى الدول الإسلامية.

obeikandl.com

(٩) قصته مع أمريكة

أن تمنع الولايات المتحدة الأمريكية داعياً ومفكراً وفقيهاً معاصراً من دخول أراضيها: فلابد أن حدثاً خطيراً قد دفعها إلى ذلك.

لكن الحوار الذى أجريناه مع د. يوسف القرضاوى لا يكشف أمراً خطيراً على أمريكة، سوى أن القرضاوى لا يؤيد إسرئيل فى عدوانها على الفلسطينيين، ويدعو إلى دعم المقاومة الفلسطينية بفصائلها المختلفة؛ كحماس والجهاد الإسلامى، كما أنه يؤيد حزب الله اللبنانى، والعمليات الاستشهادية التى تقوم بها أهل الأرض المحتلة، إنه ينفى عنها صفة الانتحارية.

يكشف الحوار اليوم أوراقاً مجهولة فى ملف (القرضاوى- أمريكة) خاصةً عبر رصد حواره مع السفيرة الأمريكية بالدوحة.

- **ما هى حيثيات قرار منع سفركم وإبطال تأشيرة دخولكم إلى الولايات المتحدة الأمريكية ؟**

كنت فى الولايات المتحدة الأمريكية فى نوفمبر ١٩٩٩م، حيث حضرت مؤتمر (علماء الشريعة فى أمريكة) الذى دعت إليه رابطة علماء الشريعة، وأختارنى الحضور رئيساً لهذا المؤتمر بالإجماع، وأصدر هذا المؤتمر قرارات عدة، ومنها أننا أوصينا المسلمين فى أمريكة بأن يتعاملوا بالقيم الأخلاقية الإسلامية، وشددنا بقوة على هؤلاء الذى يستحلون الأموال، فيأكلون أموال الآخرين بالباطل على أنهم فى مجتمع غير مسلم .. وأصدرنا عدداً من الفتاوى والقرارات والتوصيات .. وبعدها فى شهر ديسمبر من العام نفسه أبلغتنى وزارة الخارجية القطرية أن التأشيرة التى أحملها (وهى تأشيرة دخول أمريكة فى زيارات متعددة خلال عشر سنوات) لم تعد تصلح، طبقاً لما أخبرتها به السفارة الأمريكية فى الدوحة، رغم أن التأشيرة لم ينتهِ منها إلا أقل من أربع سنوات فى ذلك الوقت.

- **كيف تم إخباركم بالمنع الأمريكى لدخولكم إليها ؟**

جاءنى وزير الدولة للشئون الخارجية القطرى، سعادة الأخ أحمد بن عبد الله آل محمود، وأخبرنى بالأمر.

• **ما هو موقف السفارة الأمريكية فى الدوحة من هذا الإجراء؟**

علمت أن السفارة الأمريكية ردت على وزارة الخارجية الأمريكية وقالت لهم: إن القرضاوى شخصية مهمة فى قطر، ومنعه من دخول أمريكة يسىء إلى العلاقات بين البلدين، وهذه العلاقات جيدة أصلاً .. وقد ردت الجهة المختصة وقالت لهم: أطلبوا منه أن يجيب على هذه الأسئلة .. وهى أسئلة تتعلق فى معظمها بالموقف من جماعة حماس، والجهاد الإسلامى، وحزب الله، والعمليات الاستشهادية، والدعوة إلى مساعدة هذه الجماعات والتبرع لهم بالمال، والموقف من عملية السلام .. وهى أمور لى فيها موقف معروف، هم يعرفونه.

• **هل يمكن أن نحدد موقفكم بدقة من هذه القضايا ؟ خاصةً شرعية العمليات الاستشهادية ؟**

طبعاً؛ أنا أؤيد هذا الجهاد وأصدرت عدة فتاوى بشأنها ... لعل أبرزها فتوى شرعية العمليات الاستشهادية فى فلسطين المحتلة .. وقد قلت: إن تسمية هذه العمليات (انتحارية) تسمية خاطئة ومضللة، فهى عمليات فدائية بطولية استشهادية، وهى أبعد ما تكون عن الانتحار، ومن يقوم بها أبعد ما يكون عن نفسية المنتحر، فالمنتحر يقتل نفسه من أجل نفسه، والشهيد يقدم نفسه ضحية من أجل دينه وأمته، وإذا كان المنتحر إنساناً يائساً من نفسه ومن روح الله، فالمجاهد إنسان كله أمل فى روح الله ورحمته، يقاتل عدو الله وعدوه بهذا السلاح الجديد الذى وضعه القدر فى يد المستضعفين ليقاوموا به جبروت الأقوياء المستكبرين: أن يصبح المجاهد (قنبلة بشرية) تنفجر فى مكان معين وزمان محدد فى أعداء الله والوطن، الذين يقفون عاجزين أمام هذا البطل الشهيد الذى باع نفسه لله، ووضع رأسه على كفه، مبتغياً الشهادة فى سبيل الله.

مقاومة لا إرهاب

• **هل يدخل هؤلاء فى دائرة الإرهاب ؟**

لا؛ إنهم ليسوا إرهابيين، فهم يقاومون – مقاومة شرعية – من احتل أرضهم وشردهم، وشرَّد أهلهم، اغتصب حقهم، وصادر مستقبلهم، ولازال يمارس عدوانه عليهم، ودينهم يفرض عليهم الدفاع عن أنفسهم، ولا يجيز لهم التنازل باختيارهم عن ديارهم التى هى جزء من دار الإسلام.

● **لكنهم يلقون بأيديهم إلى التهلكة كما يرى بعض الناس ؟**

لا ؛ إنه عمل من أعمال المخاطرة المشروعة والمحمودة فى الجهاد، يقصد به النكاية فى العدو، وقتل بعض أفراده، وقذف الرعب فى قلوب الآخرين، وتجرئة المسلمين عليهم.

● **فى هذه العمليات يقتل بعض أفراد العدو من المدنيين: هل هذا القتل جائز ؟**

المجتمع الإسرائيلى مجتمع عسكرى، رجاله ونساؤه فى الجيش، يمكن استدعاؤه فى أى لحظة، وإذا قُتِل طفل أو شيخ فى هذه العمليات فهو لم يقصد بالقتل، بل عن طريق الخطأ، وبحكم الضرورات الحربية، والضرورات تبيح المحظورات .. وأقول:

إنها المخاطرة المشروعة المحسوبة التى يُرجى بها إرهاب عدو الله وعدونا، ويُبتغى فيها نصر الحق لا اتباع الهوى، ولا تكون من الإلقاء باليد إلى التهلكة، وما نطلبه هو أن تكون هذه العمليات الاستشهادية بعد دراسة وموازنة لإيجابياتها وسلبياتها، وينبغى أن يتم ذلك عن طريق تفكير جماعى من مسلمين ثقات، فإذا وجدوا الخير فى الإقدام أقدموا وتوكلوا على الله.

زيارة السفيرة

● **كيف صارت إجاباتك على أسئلة السفيرة الأمريكية بالدوحة؟**

جاءتنى إلى مكتبى بجامعة قطر – مركز أبحاث السنة والسيرة – كانت فى غاية من الأدب، جاءت ترتدى غطاءً للرأس (إيشارب)، وكان معها مترجمان: مترجم من السفارة الأمريكية، وآخر من وزارة الخارجية القطرية، مع أنها تتكلم العربية قليلاً، قالت: إن الناس يقولون عنك: إنك من أهل الاعتدال ؛ فما هى مظاهر هذا الاعتدال ؟

قلت: إننى أدعو إلى التسامح مع المخالفين، والحوار مع الآخر، أدعو إلى الحوار مع الغرب: حوار على المستوى الدينى، وعلى المستوى الفكرى، وعلى المستوى السياسى، وأدعو إلى الحوار مع العلمانيين، ومع الحكام، ومع كل القوى المخالفة، لأننا – إسلامياً – مأمورون بالحوار: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. وشرحت لها تفاصيل ذلك.

أرفض العنف

• **هل تعرضتم لقضية العنف وما موقفكم منها ؟**

لقد قلت لها: إننى أرفض العنف العشوائى الذى يقوم به بعض الجماعات الإسلامية وأنكرت، وحينما قُتل سبعة من الرهبان فى الجزائر خطبت خطبة معروفة فى ذلك الوقت وأنكرت هذا وقلت: إن الإسلام لا يقتل الرهبان حتى فى الحرب الرسمية، وحينما وقعت مذبحة الأقصر فى صعيد مصر تكلمت عنها فى برنامج الشريعة والحياة، وخطبت خطبة شهيرة تحدثت عنها الصحف القطرية والمصرية. وقلت لها: لعلك تابعت رسالتى إلى الرئيس الجزائرى بوتفليقة، أبدت فيها دعوته إلى الوئام المدنى، وناديت الشباب المعتصم فى الجبال من الجماعات الإسلامية المسلحة أن يلقوا أسلحتهم، ويكفوا أيديهم، ويدخلوا فى هذا الوئام ... وقد أهتمت الأجهزة الإعلامية الجزائرية برسالتى، وظلت يوماً كاملاً تذيع الرسالة.

وكانت الخبر الأول، ونشرتها الصحف القطرية، وبعض الصحف العربية.

إسرئيل هى السبب

• **وضح الآن أن هناك أوجه اتفاق بين وجهتى النظر الإسلامية التى تحملها والأمريكية فى استنكار العنف ؛ أين الخلاف إذاً ؟**

نعم، لكن الخلاف نشأ حين سألتنى عن الموقف من إسرائيل.

فقلت لها: هذا هو الموقف الذى نختلف فيه معاً، فأمريكة تؤيد إسرائيل تأييداً مطلقاً دون أى تحفظ ودون أى قيود، فلولا هذا التأييد المطلق: لولا المال الأمريكى، والسلاح الأمريكى، والفيتو الأمريكى ؛ ما استطاعت إسرائيل أن تصول وتجول وتعربد فى المنطقة، وتسفك الدماء، وتدمر المنشآت، وتقتل الأطفال البرآء والنساء والشيوخ .. إنما هى تفعل هذا بقوة أمريكة .. فهذا هو موقفكم – مخاطباً السفيرة الأمريكية – إنما موقفى هو أنى أرى هؤلاء – الصهاينة – قوم مغتصبون، أخذوا أرضاً لم تكن لهم، فلم يكن لهم وجود فى المنطقة منذ سبعين سنة، فجاءوا بقوة السلاح وبالحديد والنار والعنف والدم، وفرضوا وجودهم وأخرجوا أهل البلاد من بلادهم .. فأنا مع العدل، ومع الحق.

• **كيف علقت سعادة السفيرة على هذا المنطق فى عرض القضية ؟**

قالت: هذا من حقك، ونحن وأنت مختلفون فى هذا الأمر، ومن حقك أن يكون لك رأى مخالف لغيرك .. وانتهت المقابلة، واعدة بأن ترفع الأمر مرة أخرى إلى وزارة الخارجية الأمريكية.

• **هل تابعتم الحوار بحثاً عن حقكم فى دخول أمريكة بعد ذلك؟**

لا أتحمس كثيراً لهذا الموضوع، وقد تركت الأمر مؤقتاً، ولا أنوى بحثه أو إعادة فتحه هذه الأيام .. ولعله خير.

• **ساويتم فى فتواكم بالمقاطعة بين البضائع الإسرائيلية والبضائع الأمريكية ؛ كيف تمت هذه المساواة ؟**

البضائع الأمريكية مثل البضائع الإسرائيلية فى حرمة شرائها، والترويج لها، فأمريكة اليوم هى إسرائيل الثانية، ولولا التأييد المطلق والإنحياز للكيان الصهيونى الغاصب ما استمرت إسرائيل تمارس عدوانها على أهل المنطقة، ولكنها تصول وتعربد .. وهى تفعل ذلك منذ عقود من السنين، ولم تر أى أثر لموقفها هذا، ولا أى عقوبة من العالم الإسلامى احتجاجاً على مواقفها الجائرة، وقد آن الأوان لأمتنا الإسلامية أن تقول: لا لأمريكة، ولشركاتها ولبضائعها التى غزت أسواقنا، حتى أصبحا نأكل ونشرب ونلبس ونركب مما تصنع أمريكة، وقد قال علىٌ رضى الله عنه: " ثلاثة عدوك: عدوك، وصديق عدوك، وعدو صديقك " وأمريكة اليوم أكثر من صديق لعدونا، إنها وصلت إلى مرحلة (الفناء) فى إسرائيل !

عدم المقاطعة حرام

• **كيف ترى شكل المقاطعة ؛ خاصةً للمسلمين الذين يعيشون داخل فلسطين المحتلة أو داخل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ؟**

كل مسلم اشترى من البضائع الإسرائيلية والأمريكية ما يجد بديلاً له من دول أخرى فقد أرتكب حراماً، واقترف إثماً مبيناً، وباء بالوزر عند الله، والخزى عند الناس .. أما المسلمون الذين يعيشون داخل فلسطين أو داخل امريكة، فهم مضطرون للتعامل معهم وشراء سلعهم ومنتجاتهم، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، والضرورات لها أحكامها،

ولكنها تقدر بقدرها، وقال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال رسول الله ﷺ: " إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم " متفق عليه .. وعلى المسلمين داخل الولايات المتحدة أن يتعاملوا مع الشركات الأقل عداء للمسلمين، والأقل تعصباً وممالأة للصهيونية، وأن يقاطعوا ما أمكنهم الشركات المتحيزة للصهيونية، كما يجب على العرب والمسلمين حيثما كانوا أن يقاطعوا كل الشركات المنحازة للصهاينة، والمساندة لإسرائيل، من أى بلد كانت، مثل (ماركس آند سبنسر)، ومن كان على شاكلته فى تأييد الصهيونية ومؤازرة دولتها إسرائيل.

● **هل المقاطعة التى تنادى بها أمر محدث أم له تأصيل فى فجر الإسلام؟**

المقاطعة سلاح فعَّال من أسلحة الحرب قديماً وحديثاً، وقد استخدمه المشركون فى العهد المكى فى محاربة النبى ﷺ وأصحابه، فآذاهم إيذاء بليغاً، حتى أكلوا أوراق الشجر .. كما استخدمه بعض الصحابة فى محاربة المشركين فى العهد المدنى كما روت كتب السيرة: فلما أسلم ثمامة بن أثال الحنفى رضى الله عنه، ثم خرج معتمراً، فلما قدم مكة قالوا: أصبوت يا ثمامة؟

فقال: لا ولكنى اتبعت خير الدين: دين محمد، لا والله لا تصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ، ثم خرج إلى اليمامة، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله ﷺ إليه أن يخلى بينهم وبين الحمل.

وفى العصر الحديث، استخدمت الشعوب سلاح المقاطعة فى معاركها للتحرر من الاستعمار، ولعل أبرز من فعل ذلك المهاتما غاندى فى دعوته الشعب الهندى الكبير لمقاطعة بضائع الإنكليز، وقد كان لذلك أثره البليغ فى حرب التحرير.

المقاطعة تربية للأمة

● **إذا ثبت قلة الأثر فى الجانب الاقتصادى للمقاطعة للبضائع الإسرائيلية والأمريكية؛ هل ترى ثمة معانٍ أخرى فى دعوتك للمقاطعة ؟**

إنها تربية للأمة من جديد على التحرر من العبودية لأذواق الآخرين الذين علموها الإدمان لأشياء لا تنفعها، بل كثيراً ما تضرها، وهى إعلان عن اخوة الإسلام، ووحدة أمته، وأننا لن نخون إخواننا الذين يقدمون الضحايا كل يوم بالإسهام فى إرباح أعدائهم، والمقاطعة

بعد لون من ألوان المقاومة السلبية، يضاف إلى رصيد المقاومة الإيجابية التى يقوم بها الإخوة فى أرض النبوات، أرض الرباط والجهاد .. وإذا كان كل يهودى يعتبر نفسه مجنداً لنصرة إسرائيل بكل ما يقدر عليه، فإن كل مسلم فى أنحاء الأرض مجند لتحرير الأقصى ومساعدة أهله بكل ما يمكنه، وأدنى ذلك مقاطعة بضائع الأعداء .. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٣].

أريد من أمريكة

● **ماذا تريد – كفقيه معاصر – من الولايات المتحدة الأمريكية خاصةً والغرب عموماً ؟**

أريد من الغرب ومن الولايات المتحدة أن يعترف بحق الإسلام فى الوجود وبحق المسلمين أن يعيشوا بإسلامهم، وأن من الخير للغرب أن يكون المسلمون متدينين يخافون الله ويراقبونه فى أعمالهم، ويتمسكون بمكارم الأخلاق، أفضل لهم من أن يكونوا أناساً ملحدين أو منحلين أو إباحيين لا دين لهم ولا خلق .. فلو أن المسلمين حكّموا الشريعة فى ديارهم وفى مجتمعاتهم، وطبقوها على أنفسهم: ما الذى يضير الغرب ؟ كما أريد للغرب أن يؤمن أن الحياة تتسع لأكثر من دين، وأكثر من ثقافة، وأكثر من حضارة، وان هذا التنوع هو من صالح البشرية وليس ضد مصلحتها، ولا يمكن أن تفرض حضارة واحدة، أو يفرض دين واحد نفسه على العالم كله، وقد كان للمسلمين حضارة، ومع هذا كان فى هذه الحضارة عناصر مختلفة من الناحية الدينية والعرقية ساهمت فى بناء الحضارة الإسلامية، حيث كان فيها يهود، ونصارى، وسريان، وكان لهم دور فى الحضارة الإسلامية، وكان كثير منهم من المقربين من الخلفاء المسلمين، فليس هناك بأس من تعدد الأديان، وتعدد الحضارات والثقافات، وأن تكون العلاقة بينهما علاقة حوار، لا علاقة صراع.

نريد من أمريكة التى تؤيد الديمقراطية فى كل مكان، وأحياناً تدخل الجيوش لفرض الديمقراطية أو فرض من يدعو إليها ! . إلا فى بلاد المسلمين ؛ فهى تؤيد الأنظمة الدكتاتورية التى تحكم الشعوب رغماً عنها، والتى تُزَوِّرُ الانتخابات، والغرب وأمريكة يعرفان أن الانتخابات مزوّرة ولا يتحدثون ! إن أمريكة تقف مع الحكام المستبدين ضد شعوبهم، وحينما جاءت صناديق الانتخابات بالإسلاميين فى بلد مثل الجزائر، وقف الغرب مع السلطة الغاشمة التى قطعت على الشعب طريق اختياره، وحرمته ثمرة ما أراد لنفسه !

❖ ❖ ❖